

الورقة الأخيرة نحب الورد، لكن نحب القمح أكثر

القمح غذاء .. والقمح دواء .. والقمح ثروة .. ويعد فالقمح نعمة ماهرة، ربينا على أن نلتقط كسرات الخبز التي تصنع منه حين نراها على الأرض، نرفعها على جباهنا بعد قبلة اعتذار، ثم نضعها في أماكن عالية لا تطلها الأقدام، تقديراً لنعمة مقدسة نخشى زوالها .

القمح ليس كل شيء ... لكنه أول الأشياء التي نلهث وراءها، ذلك أنه عندما نعيش أزمة قمح، فمعنى ذلك أن الأمن الغذائي بات مهدداً، وبالتالي فإنه لا معنى لأبعاد الأمن الأخرى .. ومنها الأمن الثقافي إن جاز التعبير، لأن من يعاني من مشكلة نقص القمح، والتي تعني الغذاء اليومي، لا يمتلك الأذن القادرة على الإنصات إلى المشكلة الثقافية ... وبذلك فإن معالجة الأمن الغذائي ونقص القمح، هو المفتاح الرئيس لمعالجة مشكلات الثقافة والعقل، ذلك العقل الذي لا يعمل كما يجب، بينما الجسد يتضور جوعاً.

لقد تأثر محصول القمح أهم المحاصيل الاستراتيجية في سورية بفعل الحرب على مدار السنوات الماضية. ولم يكن التنافس على شراء موسم القمح بعد ذلك الهاجس الأكبر للمزارعين في مختلف الأراضي السورية، بل كانت الحرائق المتعددة والمفتعلة هي التحدي الأكبر لهم، كذلك قلة الأمطار والجفاف، حيث فقدت سورية أكثر من 60 % من إنتاجها، وتولت من دولة تعتمد على الاكتفاء الذاتي، إلى دولة غير قادرة على تأمين حاجتها من هذه المادة.

واليوم قد دق ناقوس الخطر، وبات جرس الإنذار ينادينا نحو لقمة عيشنا ... مما وجب علينا العمل على استغلال الوقت إيجابياً، والإسراع بزراعة كل شبر من أراضينا، لتحقيق الحد الأدنى من الاكتفاء الذاتي من القمح غذائنا الأساسي.

وقد أشار السيد المهندس محمد حسان قلنا - وزير الزراعة والإصلاح الزراعي إلى أننا أمام تحدٍ حقيقي لنثبت أننا قادرون على مواجهة المحنة، وذلك بالعمل على استثمار الأراضي الزراعية حتى في حدائقنا وزراعة كل أرض بالقمح مهما صغرت مساحتها، بما يتوافر لنا من مستلزمات الإنتاج حتى في أدناها.. وقد أكد أن القمح مصدر رزق ودخل جيد، وأن الزراعة حياة جديدة تبث العطاء في النفوس.

وفي قرأنا الكريم حول القمح .. قصة سيدنا يوسف التي حملت لنا العبرة والعظة .. والتي قدمت لنا درساً نفيد منه في الحاضر والمستقبل، فلقد علم سيدنا يوسف أن جانباً كبيراً من الاضطراب الحاصل في مجتمعهم يكمن في القضايا الاقتصادية، فجعل الزراعة وتنظيمها هدفه الأول، وخاصة بعد وقوفه على أن السنوات القادمة هي سنوات وفرة ونعمة وأمطار وغنى ورفاء (سبع سنبلات خضر)، وتليها سنوات مجاعة وقحط (وأخر يابسات) لذلك حذرهم من استهلاك الطعام (إلا قليلاً مما تحصنون) أي عدم الإسراف في استهلاك المنتجات الزراعية، إضافة إلى ضرورة تقنين الحبوب ووزنها والاستفادة منها في أيام القحط والشدة، وبذلك لن يكون هناك خطر يهددهم.

وأخيراً نعود إلى ما قاله شاعرنا الكبير محمود درويش: "إننا نحب الورد.. لكننا نحب القمح أكثر... ونحب عطر الورد .. لكن السناجب منه أظهر".